الحسد ... عرض وعلاج في ضوء الكتاب والسنة

بقلم ا. د. مصلح سيد يومي
عميد الكلية

هذا موضوع هام من أجل الموضوعات وأخطرها في الأمة.

ذلك لأنه يتصل بأمر يمس العقيدة، ويعمل على زعزعتها فالحاسد بحسده معترض على فعل الله في الكون، ناسيا أو متناسياً قول الله تعالى: (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ...).

ونحن لا نكاد نسير في أي طريق من الطرق، أو نقابل جماعة من الناس إلا ونجد الخوف من هذه الرذيلة — الحسد — التي ذمها الإسلام وحذرنا منها القدوة الصالحة في كل زمان ومكان محمد عليه الصلاة والسلام.

ولذلك نرى من يكتب على سيارته — مثلا — (ياناس يا شر كفاية أر)، (ياناس يا فل الخير للكل)، أو من يعلق على مركبته (صندل..) إلى غير هذه الأمور المتعددة والمتنوعة الموجودة في كثير من الأزمنة والأمكنة.

وفي هذا البحث الموجز سنتعرض — بمشيئة الله تعالى — لمعنى الحسد وحقيقته، وأنواعه، والدوافع التي تؤدي إليه، وهل العين حق كما روى في بعض الأحاديث؟ إلى غير ذلك من الأحكام المتعلقة به. ثم نختم البحث ببيان طرق العلاج من هذا الداء الخطير الذي يقوض أركان الأمة مما جعل الرسول ﷺ يسميه (داء الأمم..) كما سنعرف. ويكفي أنه كان سبباً في ارتكاب أول جريمة كبرى على الأرض وهي قتل قابيل هابيل فنقول وبالله التوفيق.

حقيقة الحسد ، وأنوعه ، وذم الإسلام له :

الحسد كما بينه كثير من العلماء هو : أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول وتكون له دونه(١) .

وهذا النوع حرام بإجماع الفقهاء خاصة إذا اقترن مع هذا التمنى أقوال أو أفعال تعمل على سلبها .

والدليل على ذلك ماورد فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآثار الصالحين من عباد الله عز وجل .

قال تعالى فى شأن اليهود : (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما . فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا(٢)) .

وقال تعالى فى شأن المخلفين من الأعراب الذين يريدون أن يصلوا إلى مآربهم بدون تعب ومشقة ، وبغير وجه حق :

(سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا(٣)) .

وقال تعالى عن أهل الكتاب الذين يتمنون بسبب حسدهم أن يرتد

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة حسد ، والصحاح للجوهرى .
(٢) سورة النساء آية ٥٤ ، ٥٥
(٣) سورة الفتح آية ١٥

المؤمنون عن إيمانهم ... (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير (١)):

وقال تعالى مشيراً إلى الاستعاذة منه : (ومن شر حاسد إذا حسد(٢))

ومن الأحاديث الشريفة الدالة على ذم الحسد الكثير منها :

قول الرسول ﷺ : (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب(٣)) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : (الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل(٤)) .

وقوله : (لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً(٥) ، وقوله ﷺ : (دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء (٦)) .. إلى آخر الأحاديث الشريفة في هذا المجال .

أما آثار الصالحين فهي أيضا كثيرة منها :

قول بعض السلف : (الحسود لا يسود) ، و (لا راحة لحسود)

---

(١) سورة البقرة آية ١٠٩

(٢) سورة الفلق آية ٥

(٣) رواه ابن ماجه عن أنس وأخرجه أبو داود .

(٤) كشف الخفاء للعجلوني جـ١ ص ٤٢٦

(٥) متفق عليه .

(٦) أخرجه الترمذي .

وقول بعض الصالحين :

ألا قل لمن كان لى حاسدا ... أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله فى فعله ... لأنك لم ترض لى ما وهب

وقول بعضهم أيضاً :

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

ويقول العجلونى فى كشف الخفاء :

(وفى الحقيقة الحسود إنما يضر نفسه ، بل ربما كان سبباً لاشتهار المحسود .

وقد سئل بعض الحكماء عن عقاب الحاسد فقال : لا أعاقبه أكثر مما هو فيه ..

وصدق الإمام الغزالى فى قوله :

الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل ، والعلم النافع لمرض الحسد وهو أن تعرف تحقيقا أن الحسد ضرر عليك فى الدنيا والدين وأنه لاضرر فيه على المحسود فى الدين والدنيا.

وقال : أما كونه ضرر عليك فى الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى و كرهت نعمته سبحانه التى قسمها بين عباده .

وأما كونه ضرر عليك فى الدنيا فهو أنك تتألم بحسدك فى الدنيا أو تتعذب به ، ولا تزال فى كمد وغم إذ أعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموماً محروماً ضيق الصدر قد نزل بك ما تشتهيه الأعداء لك وتشتهيه لأعدائك ، ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ، فلا ضرر على المحسود فى دينه ودنياه لأن النعمة باقية عليه وكل شىء بقدر الله وحكمته .

إلى آخر الأقوال التى يطول ذكرها .

هذا هو ذم الحسد بمعنى أن يتمنى الرجل زوال نعمة المحسود إليه كما ذكرنا .

ولكن إذا تمنى الرجل مثل ما للمحسود دون تمنى زوال نعمته فهو الغبطة والغبطة اختلف فيها العلماء على قسمين :

منهم : من يرى أنها لا شيء فيها ويستشهدون لذلك بما روى في نظرهم عن الرسول ﷺ : (المؤمن يغبط والمنافق يحسد) . بل ويصلون إلى أبعد من ذلك ويعتبرون أن هذا تنافس والقرآن يقول :(وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) .

وفريق آخر من العلماء يرون أن الغبطة ضرب من الحسد إلا أنه أخف منه .

قال الأزهري : الغبط ضرب من الحسد وهو أخف منه ، ألا ترى أن النبي ﷺ لما سئل هل يضر الغبط ؟

قال : نعم كما يضر الحبل .

فأخبر أنه ضار وليس كضرر الحاسد الذي يتمنى صاحبه زوال النعمة عن أخيه .

والغبط : ضرب ورق الشجر حتى يتحات عنه ثم يستخلف من غير أن يضر ذلك بأصل الشجرة وأغصانها(١) .

وفي حديث النبي ﷺ : (لا حسد إلا في إثنتين رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل والنهار ورجل آتاه الله قرآنا فهو يتلوه) .

سئل أحمد بن يحيى عن المعنى فقال : لا حسد لا يضر إلا في اثنتين .

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة ، حسد ، والصحاح للجوهري.

ومما يستدل به هذا الفريق أيضاً قول الله تعالى :(ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وسئلوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما)(١) .

أما استشهاد الفريق الأول بقول الرسول ﷺ (المؤمن يغبط والمنافق يحسد) فليس هذا بحديث بل هو من كلام الفضيل بن عياض(٢).

والاستدلال بقول الله تعالى (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) ليس فى موضعه .

بعد هذا العرض الموجز للفريقين من العلماء نستطيع أن نقول والله أعلم : أن الإنسان له أن ينظر إلى أخيه الإنسان من الناحية الدينية فينافسه عليها ويجتهد فيها أما من جهة الدنيا فلا يصح له أن ينظر إليه من هذه الناحية حتى لا يؤدى هذا إلى الحسد المحرم فيتعرض لغضب الله تعالى ويؤيد هذا ما ذكرناه من الآية الكريمة : (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض الخ ...) .

وفيما روى عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : (إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه فى المال والخلق — فلينظر إلى من هو أسفل منه)(٣) .

والمراد كما قال أحد العلماء : من هو دونه فى المال والخلق .

وفى رواية «فلينظر إلى من تحته» وزاد مسلم «فهو أجدر ألا تزدروا

---

(١) سورة النساء آية رقم ٣٢

(٢) كشف الخفاء جـ ٢ ص ٤٠٧

(٣) رواه البخارى فى صحيحه .

نعمة الله عليكم، والازدراء الاحتقار والانتقاص، ولا ريب أن الشخص إذا نظر إلى من فوقه لم يأمن بؤثر ذلك فيه، فدواؤه أن ينظر إلى من تحته ليكون ذلك داعيا إلى الشكر، وفى هذا المعنى ما أخرجه الحاكم وصححه البيهقى فى الشعب من حديث عبد الله بن الشخير مرفوعا، أقلو الدخول على الأغنياء فإنه أحرى ألا تزدروا نعمة الله عز وجل»(١).

بواعث الحسد :

والحسد له بواعث ودوافع متعددة نذكر منها ما يلى :

١ — ضعف الإيمان بالنسبة للحاسد، فلو أن هـذا الإنسان آمن واعتقد بأن ما يجرى فى هذا الكون من حياة وموت، وغنى وفقر، وصحة ومرض، وخير وشر ... يحدث بإرادة الله تعالى. ما فكر أبداً فى ارتكاب هذه المعصية التى اتصف بها إبليس لعنه الله.

قال تعالى : (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير. الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور)(٢)، (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور)(٣).

---

(١) صفوة صحيح البخارى للشيخ عبد الجليل عيسى أبو النصر حديث ٦٤٧

(٢) سورة الملك آية ١—٢

(٣) سورة الحديد آيه ٢٢—٢٣

ولهذا يقول الإمام الحسن البصرى : (من نافسك فى دينك فنافسه ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره)(١) .

وليس معنى هذا أن يتواكل الإنسان ويكف عن السعى ويدع الأمور تجرى كما تسير لا بل عليه أن يكد ويجتهد — لأننا أمرنا بذلك — وسينال من الدنيا ماقدر له فى هذه الحياة .

قال تعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) .

وقال سبحانه : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) .

وقال ﷺ : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه (لايقعدن أحدكم عن طلب الرزق ثم يقول اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لاتمطر ذهباً ولافضة) .

والعمل فى ذاته عبادة : إذا حسنت النية ، وسلمت الطوية ، ولم يترتب عليه الإهمال أو التقصير فى بعض الواجبات الدينية وذلك لأنه يحقق الحكمة من خلق الإنسان ووجوده فى هذه الحياة(٢) .

وقد صافح النبى ﷺ حذيفة بن اليمان : فوجد يده خشنة أجشة فسأله عن السبب ؟ فقال : يارسول الله إنى أحترث الأرض بفأسى طلباً لرزق عيالى فسر منه رسول الله ﷺ وقال : (هذه يد يحبها الله ورسوله) .

ويكفى أن النبى ﷺ كان قدوة حسنة وأسوة صالحة لأصحابه ولأمته من هذه الناحية .

---

(١) الحسن البصرى . . للدكتور مصلح بيومى .
(٢) ينابيع الحكمة للشيخ عبد المنصف محمود .

٢ — من بواعث الحسد : الحقد . والحقد أساسه الغضب .

يقول صاحب لسان العرب مادة حقد : الحقد : إمساك العداوة فى القلب والتربص لفرصتها .

والحقد : الضغن ، والجمع أحقاد ، وحقود .

ورجل حقود : أى كثير الحقد على ما يوجب هذا الضرب وأحقده الأمر أى : صيره حاقداً . . . الخ .

والغضب كما يقول الراغب الأصفهانى فى المفردات .

ثوران دم القلب إرادة الانتقام .

ولذلك قال المصطفى ﷺ : (اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد فى قلب ابن آدم ، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه) .

قال تعالى : (فباءوا بغضب من الله) ، (غير المغضوب عليهم) إلى آخر الآيات والأحاديث الدالة على ذلك مما سنتناوله فى نهاية البحث — إن شاء الله — عند الحديث عن طرق العلاج التى يونها الإسلام .

٣ — التعزز والتكبر كما كان حسد أكثر الكفار والمشركين للرسول ﷺ عما جعل القرآن الكريم يخبر عنهم بقوله تعالى (وقالوا لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) .

أى هلا كان إنزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير فى أعينهم من القريتين ؟ يعنون : مكة والطائف أو الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى إلى غير ذلك من الأقوال المتعددة(١) .

٤ — من دوافع الحسد وبواعثه : الطمع وحب النفس بطريقة تخرجه عن الحد الذى رسمه الإسلام مثل ما ورد فى قول الله تعالى (إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب)

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٢٦ — ١٢٧

٥ — التعجب كما أخبر الله عزوجل عن الأمم السالفة إذ قالوا : (ما أنتم إلا بشر مثلنا) ، (وقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا) ، (ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون) فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم ، وأحبوا زوال النبوة عنهم جزعا أن يفضل عليهم من هو مثلهم فى الخلقة(١) .

٦ — التنافس على أمر بين اثنين أو أكثر ، فكل منهم يريد أن يصل إلى مراده مهما كانت النتيجة .

٧ — التطلع إلى الجاه والسلطان ، والخوف من ضياع السيطرة ، وهذا يتضح تماما فى موقف علماء اليهود من الرسول ﷺ فهم ينكرون معرفته ولا يؤمنون به مخافة أن تبطل رياستهم ، ويضيع منهم تعلق الناس بهم .

٨ — من بواعث الحسد وأسبابه : خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى(٢) . ولهذا كان أعظم وصف للمفلحين الذين كان بينهم وبين الشح وقاية ، قال تعالى : (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

هذه بعض البواعث والدوافع التى ينتج عنها هذا الداء الوبيل ولا ننسى أن هناك أسبابا تدعو إلى الحسد أيضا بين الأقران ، والأمثال ، والإخوة ، والأقارب ترجع معظمها إلى ما ذكرنا ونكتفى بذلك حتى نعود إلى العلاج فى ختام البحث .

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى جـ ٣ ص ١٩٣ .

(٢) إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالى جـ ٣ ص ١٩٤ .

هل العين حق ؟ :

لاشك أن جميع الناس يتفقون على أن الحسد بمعنى تمنى زوال نعمة الغير أمر لايحتاج إلى مناقشة .

ولكن الذى يعتبر محل تساؤل هو : الحسد بمعنى نظرة العين هل هذا حق له أصل فى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ؟

والجواب على ذلك ما يلى :

أولا : هناك حقيقة يجب أن تكون دائماً فى الحسبان ، وأمام أعيننا وأبصارنا وهى : أن كل مايحدث فى الكون للإنسان أولغيره يكون بإرادة الله عزوجل أى : لايحدث فى ملكه ، إلا مايريده المولى سبحانه وتعالى ، وهناك أسباب ومسببات .

ثانياً : انقسم الناس فى الحسد بالنظرة إلى فريقين .

الفريق الأول :

يقول بنفى حدوث ذلك وأن هذا فى نظرهم خرافة .

ويذكر أحد هؤلاء فى قوله : (ولا يزال الناس يؤمنون بالحسد ، ويعتقدون أن شخصاً معيناً له عين حاسدة تستطيع بنظرتها أن تسبب لهم الأذى أو يعتقدون أن الناس يحسدونهم ، وهذا هو سبب ما حل بهم من مصائب ، وهو تفكير لا يقوم على أساس علمى ، لأن الحسد لا يؤذى المحسود بقدر ما يؤذى الحاسد نفسه ، الذى يحترق بغيظه وحقده :

اصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

ثم يتابع الدكتور صاحب المقال قوله : وقد يرد البعض بأن الحسد مذكور فى القرآن الكريم «ومن شر حاسد إذا حسد» وتفسير الآية أن الحاسد لا يضره إلا إذا ظهر حسده بفعل أو قول لإيقاع الشر بالمحسود، فيتبع مساوئه ،ويطلب عثراته — القرطبى» . أى أن الحاسد يؤذى بأفعاله وأقواله ضدك ، لا بنظرة عينيه كما يعتقد الناس . فما أبعد الفرق بين الحسد عند القرآن ، والحسد عند العوام(١) إلى اخر ما قال .

وليس هذا هو أول أو آخر من ينكر الحسد بالعين بل هناك الكثير والكثير ممن يضيق المقام عن ذكرهم .

الفريق الثانى :

يقول بثبوت الحسد عن طريق النظرة . وله فى ذلك أدلة متعددة نذكر منها ما يلى :

١ — روى البخارى ومسلم فى صحيحهما عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « العين حق » .

٢ — وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « أمرنى النبى ﷺ أن أسترقى من العين » .

٣ — وعن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى ﷺ رأى فى بيتها جارية فى وجهها سفعة (سواد فى الوجه) فقال : « استرقوا لها فإن بها النظرة » .

---

(١) عن السحر والزار وعين الحسود . مقال للدكتور أحمد متولى مسلم بمجلة الهلال مارس سنة ١٩٧٩ م

٤ — وروى الإمام مسلم فى صحيحه عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: « العين حق ولو كان شىء سابق القدر سبقته العين » .

٥ — وذكر الترمذى أن أسماء بنت عميس قالت : يارسول الله إن بنى جعفر يصيبهم العين أفأسترقى لهم ؟ فقال : نعم فلو كان شىء يسبق القضاء لسبقته العين» قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

٦ — روى أبو داود فى سننه من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا رقية إلا من عين ، أو حمة ، أو دم يرقأ » .

٧ — وفى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه قال : « رخص رسول الله ﷺ فى الرقية من العين والحمة والنملة » .

٨ — قال العالم الفقيه ابن حجر العسقلانى شارح صحيح البخارى « العين : إنظر باستحسان مشوب بحسد خبيث الطبع ويحصل للمنظور فيه ضرر ... » .

وقال : « وقد أجرى الله العادة بوجود كثير من القوى والخواص فى الأجسام والأرواح كما يحدث لمن ينظر إليه من يحتشمه من الخجل فيرى فى وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك ، وكذا الأصفر عند رؤية من يخافه ، وكثير من الناس يسقم بمجرد النظر إليه وتضعف قواه ، وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى فى الأرواح من التأثيرات ، ولشدة ارتباطها بالعين نسب الفعل إلى العين ، وليست هى المؤثرة وإنما التأثير للروح ... » .

٩ — ويقول ابن تيمية فى (مجموعة الرسائل الكبرى) عند تفسيره للمعوذتين : والحسد يكون من الأنفس الخبيثة أيضاً إما بالعين ، وإما بالظلم باللسان واليد الخ .

١٠ — ويقول أحمد الباحثين الأفاضل من علما الأزهر الشريف :

(كان الحسد في السنين الخالية ، موضع جحود عند بعض الطوائف الذين لا يؤمنون إلا بالمادة وخواصها ، وينكرون ما وراءها .

ولما ظهرت الاكتشافات الجديدة ، والنهضة العلمية الحديثة من المغناطيس وغيره تبين لهؤلاء أن العين حق وأن الحسد يؤثر في المحسود والعين كذلك تصيب المعين . والفرق بين العائن والحاسد ، أن العائن تتكيف نفسه بكيفية الحقد عند مقابلة المعين ومعاينته ، والحاسد يحصل له ذلك عند مشاهدة المحسود وغيبته . فالحاسد يكون من المبصر والأعمى ، والعين لا تكون إلا من المبصر . إذن فالتأثير تأثير روحي لا جسماني ، وقد استشهد العالم الجليل بالأحاديث الشريفة على ذلك .

كما يبين أيضاً كيفية تأثيره في قوله : ينظر العائن إلى المعين ، والحاسد إلى المحسود نظرة إعجاب ، فتتكيف نفسه الشريرة بالكيفية الرديئة والظن بالله ظن السوء فتحدثه نفسه لماذا يعطى هذا أو يحرم ذاك ولا يزال يستكثرها على صاحبها فينبعث من عينيه قوة سمية تتصل بالمعين أو المحسود وتتخلل مسام جسمه فيحصل له الضرر وهكذا . فكل نفس استعظمت واستكثرت الشيء على صاحبه ترسل أنفاسها سهاماً إلى الشيء الذي استعظمته فتقع الواقعة (١) .

ما دام الأمر هكذا فيرد هذا السؤال . ألا يستطيع الحاسد بالعين أن يضر ما يشاء من عباد الله تعالى ؟ .

والجواب على ذلك يشتمل على أمرين :

---

(١) البيان في تصحيح الإيمان للشيخ إبراهيم محمد عبد الباقي ص ١١١ — ١١٤ بتصرف

الأمر الأول :

نؤكد ما قلناه سابقاً بأن ما يحدث فى هذا الكون لا يسير إلا بإرادة الله سبحانه وتعالى ولو شاء عدم حدوثه لكان له ذلك :

قال تعالى فى سورة (يس) : (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) ، وقال أيضا فى سورة التوبة :(قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) .

فالحاسد إذا أراد بنظرته المسمومة أن يهلك أى مخلوق من مخلوقات الله تعالى . فإن أراد الله ذلك لحكمة يعلمها نفذ المراد وإلا فسدت نظرته وكانت وبالا عليه .

وهذا ليس ببعيد فإن الله عز وجل سلب خاصية إحراق النار لسيدنا إبراهيم حينما ألقى فيها من قبل قومه .

قال تعالى فى سورة الأنبياء (قلنا يانار كونى برداً وسلاما على إبراهيم) كما سلب سبحانه وتعالى خاصية الذبح السكين حينما أراد سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يذبح ولده إسماعيل عليه السلام تنفيذاً لأمر تعالى ، وكان الفداء لسيدنا إسماعيل .

قال تعالى فى سورة الصافات : (وفديناه بذبح عظيم) .

الأمر الثانى :

أن الحاسد نفسه ليس فى كل الأوقات يستطيع أن يلقى بنظرته المسمومة بل فى كثير من الأحيان إذا أراد أن يفعل ذلك لا يؤثر .

وقد حدثنى من أثق بكلامه بأنه فى إحدى القرى توافرت قصة إنسان اشتهر بالحسد . فكان يمر يوماً فى حقول القرية فقابله إنسان يعرفه وسلم عليه ، ورأى هذا الإنسان على بعد بعض الحيوانات تخص إنساناً معيناً وكان يكرهه . فانتهز فرصة وجود الإنسان الحسود وقال له : يافلان ... هل ترى تلك الحيوانات ؟

قال الحسود : نعم . قال : لو سمحت تحسدها لى فنظر إليه الحسود نظرة مسمومة وقال له : وهل أبصرتها من بعيد .

وفجأة ذهب بصر هذا الإنسان وصارت حكاية فى القرية .

١١ — وقال أحد(١) الباحثين من علماء الأزهر الشريف فى شرح حديث « العين حق » ، « ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين » .

هذا الحديث صريح فى أن الإصابة بالعين حق ثابت لا شك فيه ... « ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين » فى قوة التأكيد ، لهذا المعنى على أبلغ وجه ، وفيه تنبيه على سرعة نفوذ العين وتأثيرها فى المحسود تأثيراً بليغاً ، على معنى أنه لو فرض أن هناك شيئاً له قوة وتأثير بحيث يسبق القدر ويغلبه لكان العين ، لكن العين لا تسبق القدر ولا تغلبه مع ما لها من سرعة التأثير والقوة ، فكيف بغيرها من القوى الأخرى ، فكل القوى والقدر تحت هيمنة الواحد المقتدر الذى لا يقع فى ملكه إلا مايريد ، ومن هنا قال جمهور أهل السنة : « إن العين إنما تفسد وتهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى ، فقد أجرى الله سبحانه وتعالى العادة أن يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص لشخص آخر ، واختلفوا أهناك جواهر جفية سامة

---

(١) هو فضيلة الشيخ سيد حسن العقرا فى كتابه : الإنتاج أو السلاسل الذهبية الجزء الثانى ص ٩٥ — ٩٩ بتصرف ط السعادة بمصر سنة ١٩٥٠

مؤثرة تنتقل بواسطة نظر الحاسد إلى المحسود أم لا ، وأخيراً فوضوا أمر ذلك إلى الله تعالى ، فهم مجمعون على الإصابة بالعين بأمر الله تعالى ، وبالطريق الذى يشاؤه جلت قدرته .

ولهذا قال ابن العربى : « والحق أن الله يخلق عنـــد نظر العائن إليه وإعجابه به إذا شاء ماشاء من ألم أو هلـكة ، وقد يصرفه الله عز وجل قبل وقوعه بالرقية » .

وقد أنكر بعض المبتدعة من المتأخرين ، وقوع الإصابة بالعين وتبعهم فى ذلك شرذمة من الملاحدة العصريين ؛ ومن لف لفهم من هؤلاء الماديين الذين لايحسبون إلا المادة وتأثيرها ولا يؤمنون إلا بالمشاهد المحسوس ، وهؤلاء وأولئك يكذبهم هذا النص الصريح عن صاحب الشرع ﷺ ، بل ويكذبهم الواقع الملموس ، فإننا نرى الرجل فى المجتمع فارس حلبته ، ونشاهد عائناً يلحظه بنظرته ، فإذا هو مريض أو ميت ، وقد كان قبل النظرة سليما معافى .] .

وقد استدل الباحث رحمه الله بعدة أدلة ذكرنا معظمها فى بحثنا هذا .

١٢ — وقال أحد(١) كبار العلماء وكان عضوا بمجمع البحوث الإسلامية — فى شرحه الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت : أمرنى رسول الله ﷺ — أو أمر — أن يسترقى من العين —

والحديث رد على طائفة من المبتدعة أنكروا إصابة العين ، ومما يدل على فساد زعمهم أن كل معنى لايؤدى إلى قلب حقيقة ولا فساد دليل فإنه

---

(١) هو فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى أبو النصر فى كتابه (صفوة صحيح البخارى) مطبعة أمين عبد الرحمن الطبعة الخامسة الجزء الرابع ص ١٣٢ — ١٣٣

من مجوزات العقول، فإذا أخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولايجوز تكذيبه. وروى البزار حديثاً رفعه «من رأى شيئاً فأعجبه فقال ماشاء الله لاقوة إلا بالله لم يضره».

وهكذا ذكر الكثير من علماء المسلمين الأفاضل أن العين حق كما قال عليه الصلاة والسلام، ويضيق المقام عن بيان كل ماقيل فى تأييد هذا الموضوع وتكتفى بما وضحناه خشية الإطالة، واتساع البحث على القارىء الكريم.

ويظهر مما عرضناه أن الفريق القائل بصحة الإصابة بالعين على حق ونرجح رأيه فى ذلك عملا بالأحاديث الشريفة.

ولكى نكون على بينة — بعد ترجيح رأى الفريق القائل بذلك — لايصح لنا أن نبالغ فى هذا الموضوع — كما يفعل البعض — حينما يرى إنساناً أصيب بأى ابتلاء فى نفسه، أو ماله، أو أهله .. يسرع بقوله: إنها العين التى أصابته. لأن هذا يفضى بنا إلى ترك الأسباب والمسببات.

فإذا قاد إنسان سيارته بسرعة جنونية وكان شارباً للخمر لاشك أن هذا يجره إلى الهلاك ولا تقول العين.

وإذا أهمل الإنسان مرضه حتى استفحلت حالته الصحية طبعاً هذا يؤدى إلى الهلاك.

والتلميذ الذى يظل طوال العام الدراسى يضيع وقته فى النوادى والطرق، والملاهى..ثم يجىء آخر العام ليؤدى الامتحان لاشك فى معرفة نتيجته من أول الطريق.

وهكذا يجب أن نعلم أن الأسباب والمسببات شىء، والإصابة بالعين شىء آخر، وقدر الله تعالى فوق كل شىء بيده الأمر كله وإليه المصير.

مادام الأمر كذلك يجب أن نسأل ماهو العلاج لهذه الحالة حتى نتجنبها ونتقى شرها هذا هو موضوعنا الآتى:

علاج الحسد فى ضوء الإسلام :

لكل داء دواء إلا الموت . والحسد — وما يتعلق به من الحقد والغضب — لاشك فى أنه داء خبيث وخطير يؤدى — إذا استفحل أمره — إلى تقويض الأسرة والمجتمع ، ويجعل الناس دائما فى خوف وشقاء .

وعلاج الحسد يكون من جهتين ، جهة الحاسد نفسه وجهة المحسود .

أولا : من جهة الحاسد نفسه . عليه أن يتقى الأسباب التى تؤدى إلى هذا الوباء المدمر ويتضح هذا فيما يلى :

(ا) ضعف الإيمان بالخالق يؤدى إلى حسد الناس والحقد عليهم .

من أجل ذلك كان على الإنسان العاقل أن يعمل على تقوية إيمانه بالثقة فى الله عز وجل ، وطاعته إياه فى السر والعلانية . وهذا يقتضيه أن يؤمن بأن ما يصل إلى أى إنسان من نعم الله تعالى إنما هو بقضاء الله — سبحانه وتعالى — وقدره ولا راد لقضائه وقدره . (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقوله له كن فيكون) .

قال تعالى : (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير. تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب(١).

ومن هنا كانت وصية رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس رضى الله

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٦ — ٢٧

عنهما فى الحديث الذى رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح . قال ابن عباس : (كنت خلف النبى ﷺ يوما ، فقال لى : ياغلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء ، لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف) .

وفى رواية خرجها الإمام أحمد ...: (احفظ الله تجده أمامك ،تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة . واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا (١) .

(ب) من الأسباب التى تؤدى إلى الحسد حينما ينظر الإنسان إلى شىء حسن وجميل لايذكر الله سبحانه وتعالى واهب النعمة . . من أجل ذلك كان على الإنسان الذى لايريد لهذا الداء الخبيث أن يتطرق إلى قلبه أن يكون ذاكرا لله سبحانه دائما .

خاصة إذا نظر إلى نعمة من نعم الله على الغير ولهذا قال سبحانه وتعالى : (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله . .)(٢).

(جـ) من أسباب الحسد العداوة للناس والبغض لهم . . فإذا أراد الإنسان الحافظ لدينه ودنياه أن يكون قلبه خالياً من هذا البلاء العظيم فليعمل على حبه للناس وعدم عداوته لهم قال ﷺ : (لا يؤمن أحدكم

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى — طبعة مصطفى الحلبى الطبعة الثالثة ص ١٦٠ — ١٦١

(٢) من سورة الكهف آية ٣٩

حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه(١)) . ، وقال أيضا فى حديث شريف (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله ومنها : ورجلان تحابا فى الله تعالى اجتمعا عليه وتفرقا عليه ...) ، وقال كذلك : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله . وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار)(٢) .

وقال عز من قائل فى سورة الحجرات : (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) ...

(د) من أسباب الحسد التكبر على خلق الله تعالى .

فعلى الإنسان الفاهم لطبيعة الحياة أن يكون بعيدا عن التكبر على عباد الله تعالى لأن هذا التكبر طريق إلى كيد الشيطان وزرع العداوة والبغضاء فى القلوب . وحينما ننظر إلى سبب عصيان كثير من الكفار للنبى ﷺ نجد أن من أهم هذه الأسباب التكبر والأنفة . . لأنهم كانوا يتعجبون كيف يرسل الله إلى البشرية رسولا فقيراً ويتيما ويترك سادة قريش والعرب لهذا قال تعالى : (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ..) ونسوا قوله تعالى :(الله أعلم حيث يجعل رسالته) ..

(ه) من أسباب تسرب الحسد إلى القلوب البخل والشح . .

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه .

(٢) رواه الشيخان ، وأحمد ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه . .

وهاتان الصفتان من أخص الصفات التي تسرع بالحسد إلى القلوب . والفرق بين البخيل والشحيح أن الأول يبخل بمـال نفسه على الغير ، أما الثاني فيبخل بمال غيره على الغير .

ولعظم هذا البلاء كان النبي ﷺ يوصي أصحابه فيما رواه جابر :(اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا الدماء واستحلوا محارمهم) .

وكان أيضا ﷺ يستعيذ بالله منه فيقـول : (اللهم إني أعوذ بك من شح نفسي وإسرافها ووسواسها) .

ويقول : (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) . .

ويبين القرآن الكريم أن بخل الإنسان مردود على نفسه قال تعالى : (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) ، ويقول : (أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا) . كما بين سبحانه وتعالى أن النفس الخالية من الشح طريقها إلى الفلاح : قال تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

وقال أبو التياح الأسدي : رأيت رجلا في الطواف يقول : اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك شيئاً فسألته عن ذلك فقال : إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل شيئاً يكرهه الله تعالى وإذ الرجل عبد الرحمن ابن عوف(١) .

---

(١) سراج الملوك للطرطوشي ص ٩٦